الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللّغة و الأدب العربي

المثل العربي و المثل الفرنسي

دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلّبات شهادة الليسانس في اللغة العربية و آدابها

تخصص: أدب العربي و نقده

إعداد الطالبتين:

-بورايو ريمة

-بن عراب الزهرة عرابة

إشراف الأستاذة:

-رزاق فاطمة

السنة الجامعية

(1434هـ/2013م)

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي العزيزين، كما أتشرف به إلى كل بنات الإقامة الجامعية بغرداية خاصة الغرفة M_{28}، وحبيبات الرحمات بالمصلى، ولا أنسى إهدائي الخاص للطيّبتين: ابتسام وريمة وذلك لمعاملتهما الإنسانية والإهداء الأعظم للأستاذة: "رزاق فاطمة" لحرصها على الإرشاد والنصح لنجاح هذا العمل.

الزهرة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز مخلوقين إلى قلبي وإلى من

أوصلاني إلى هذا المقام أمي وأبي –رعاهما الله–

إلى أستاذتي المحترمة "رزاق فاطمة".

إلى إخوتي: "فاتن وياسمين وهبة وشمسو".

إلى خطيبي وأنسي في هذه الحياة "سعيد".

إلى أعز صديقتين عندي "فاطمة" و "الزهرة".

ريمة

كلمة شكر

عملا بقول الرسول صلى عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نشكر الله تعالى على توفيقه لنا لإنجاز هذا البحث.

يسعنا ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم معنا في

إنجاز هذا العمل، سواء من قريب أو من بعيد.

ونخص بالذكر الأستاذة القديرة: رزاق فاطمة ، المشرفة على بحثنا.

فلم تبخل بتوجيهاتها ونصائحها علينا، ولم تتوانى في تقديم أرائها الصائبة

لنا، حتى تم إنجاز هذا العمل.

.

"والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"

مقـدمـة : بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله المتعالي عن الأشباه والأمثال، والحمد لله ذي الفضل العظيم والكرم المنثال، ولا إله إلا الله المتوحد بالكبرياء والآثال، والله اكبر أن يتطاول إلى سميّ جلاله خيالٌ أو مثال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عدل الله به ميل الدين فاعتدل، ونصب به قناته بعد أن كانت ظاهرة الخفض والميل، فسبحانه تقدست أسماءه وجلت صفاته. وبعد:

فإن المثل العربي ذو شأنٍ ومكانةٍ هامة في الكلام فهو فنٌّ من فنون الأدب العربي التي بقيت حية ولم تتغيّر إلا في شكلها.

ودلّ على فضيلة شأنه قوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرون ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾[2].

ولأن الأمثال مادة لغوية ثرية من مختلف جوانبها يستعين بها أهل الفكر لتوضيح معنى أو تقريب فكرة، اخترنا القيام بدراستها ووددنا أن تكون محوراً لبحثنا هذا، أن تنال حظاً وافراً من الدّراسة كغيرها من أنواع الكلام، ونحن نقصد من خلال ذلك الإجابة على الإشكالية التالية:

ما هو سرّ جمال وروعة هذه الأمثال على المستوى التركيبي والدلالي ومن ثَمّ ما أسباب بقائها على مرّ العصور؟

وهل يقوم المثل العربي على بنية لغوية متماسكة؟ وما الذي يمكن استنتاجه من مقابلة المثل العربي بقرينه في اللغة الفرنسية على المستوى التركيبي اللغوي؟.

والحق أنّ البحث في المثل ليس جديداً وليس بدعاً من الدراسات عند العرب، فقد تنبه لهذا الموضوع قدماؤنا لكنّه لم يدرس بعمق ودقةٍ، ولم يحلّل من الناحية التركيبية أصلاً، وإنما اقتصرت معظم المجلدات والكتب على جمع مادة المثل فقط، ففوجئنا بندرة المراجع في هذا المجال.

والملاحظ أنّ الاستشهاد لا يكون إلا من القرآن الكريم ومدوّنات العرب الشعرية عموماً، رغم أنّ جمل الأمثال كافية للاستشهاد بها لما تحمله من تنوع وثراءٍ لغوي، فسيبويه مثلاً في "الكتاب" ورغم

(1)- سورة ابراهيم، الآية 25.

(2)- سورة الحج، الآية 73.

أجزائه المتنوعة استشهد باثنين وأربعين (42) مثلا فقط مقابل تسع مائة وأربعين (940) بيتاً من الشعر وكما قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه "الأمثال وَشيُ الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْي المعاني، والتي تخيَّرتْها العربُ، وقَدَّمتها العجم، ونُطِق بها في كل زمان، وعلى كلِّ لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها، ولا عَمَّ عُمومَها، حتى قيل: أسيرُ من مثل ".

وهذا ما يدعو إلى التساؤل: لماذا لم يستشهد النحاة بالأمثال وهي التي استعملت في "عصر الاحتجاج"؟ كما أنها مادة تصلح للتطبيق كونها مظهراً من مظاهر الكلام العربي الفصيح؟.

ونحن بعد اطلاعنا على بعض المدونات للأمثال العربية، وجدناها زاخرةً بالأساليب اللغوية والبلاغية الرّاقية، عنيت بالألفاظ المعجمية، تعجب القارئ لها وتجعله يتلذّذ في البحث عن المزيد والتعرف عليه.

وقد اخترنا كتاب "مجمع الأمثال" لصاحبه أبي الفضل الميداني[1]، كمدونة رئيسية باعتباره أهمّ كتاب استطاع رصد المثل وموردِه فهو المرجع الأول لسائر العصور الأدبية وأوسع كتاب تناول الأمثال وأوفاها، وهو أشهر كتب الأمثال قاطبة وأفضلها وأغزرها مادة حيث شَمل زُهاءَ ستةِ ألاف مثلٍ ما بين فصيح ومولّد، كما اعتمدنا كتب أخرى منها:

- "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري.
- "الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية"، عبد المجيد قطامش.
- "التجوال في كتب الأمثال"، موسى محمد حمود خصر.

فقد تنوعت مراجع بحثنا بين القديم والحديث، العربي والأجنبي، إلا أننا وكما أشرنا وجدنا ندرة في الكتب التي تناولت الأمثال بدراسة لغوية، وقد اعتمدنا المنهج التحليلي الوصفي الذي التزمنا فيه:

- تخريج الأمثال والأبيات الشعرية في أكبر عدد ممكن من المصادر القديمة والمتأخرة حرصا منا على توثيق المادة وتيسيراً على من شاء الرجوع لتلك المصادر.
- تفسير الغريب والغير مأنوس من الأمثال والمفردات، وشرح ما خفيَ من معانيها.

([1])-الميداني (أحمد بن محمد) ت 518هـ لغوي وأديب فارسي الأصل ولد وتوفي في نيسابور، اشتهر بعرفة أخبار العرب وأمثالهم وهو صاحب "مجمع الأمثال" من مؤلفاته "نزهة الطرف في علم الصرف" و "السامي في الأسامي".

- سرد قصة المثل وبيان مضربه متى اقتضت الضرورة لذلك.
- شكل الأمثال والأبيات الشعرية شكلا يزيل عنها اللّبس، وضبط أسماء الأعلام.
- ضبط فهرس للأمثال المذكورة في البحث .

وقد اقتضت إرادة الله أن يكون البحث مكون من: مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويتلوهما خاتمة وفهرساً للأمثال والمراجع، وهذا على النحو التالي:

أ-المقدمة: تحدثنا فيها عن مراحل بحثنا، من أسباب اختيارنا للموضوع، وبيان الخطة التي سار عليها البحث.

ب-تمهيد: وقد أوضحنا فيه معنى المثل لغة واصطلاحاً.

في المبحث الأول: فهو عبارة عن دراسة نظرية للمثل العربي من خلال أقسامه وخصائصه العامة.

أما في المبحث الثاني: فقد أجرينا مقابلة بين المثل العربي وقرينه في اللغة الفرنسية وبيّنا مواطن التشابه بينهما مع التمثيل من اللغتين (العربية والفرنسية).

وأنهينا البحث بخاتمة تحمل ما استخلصناه من ملاحظات وما توصلنا إليه من نتائج.

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بعظيم الثناء والتقدير والامتنان إلى أستاذتنا الفاضلة: رزاق فاطمة التي تفضّلت مشكورة بقبول الإشراف على هذا البحث، وما زودتنا به من نصائح حفزتنا على الحسم والمضيّ في هذه الدراسة، وعلى ما بذلته من وقت في قراءة البحث ومناقشته، كما نرفع شكرنا لجامعة غرداية ونخص بالذكر أساتذتنا في قسم اللغة والأدب العربي.

هذا وما كان من صواب فنحمد الله عليه، وما كان غير ذلك فالكمال لله وحده، ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويعيذنا من شرور أنفسنا، ويرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [1].

زلفانة يوم: 2013/05/16

([1])- سورة البقرة، الآية 28.

تمهيد: أهمية المثل وفائدته

كان المثل ولا يزال مظهرا من المظاهر العقلية عند الشعوب فهو فنٌ ثقافي قديم من فنون الأدب العربي التي بقيت حية بروحها ولم تغيّر إلا في شكلها، ولذلك يحتل المثل مكانة هامة في الكلام لما فيه من القيم والمثل الهادفة إلى تربية الإنسان و إنارة طريقه، ولتأثيره العجيب في النفوس والقلوب بوقعه الغريب وصورته عن كثير من ما يكون من الألفاظ العذبة وأحسنها، والتي تغني المتحدث والكاتب عن كثير من الكلمات، وقد أجاد ابن المقفع (ت142هـ) حين قال: "إذا جُعِلَ الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث"[1]، كما أن معانيه قريبة من الذهن تعجب السامع و تشوقه للتلذذ بالمزيد. قال العلامة أبو السعود في تفسيره: "والتمثيل ألطفُ ذريعةٍ إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستقصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامع الأبي، كيف؟ وهو رَفْعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازٌ لها في معرض المحسوسات الجلية و إبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في صورة المألوف"[2] .

وقد حافظ المثل على أهميته لتعبير أسلوبه عن طريقة التفكير في المعانة الشخصية و التقلبات النفسية بحسب الأحوال والأحداث والظروف المحيطة إزاء مختلف المؤثرات المحلية والانعكاسات المجتمعية، لذلك فإنه من الناحية الثقافية يحتل حيزا كبيرا من الدلالة فهو مرآة لثقافة الأمة واتجاهاتها الفكرية ونظرتها إلى الحياة، يقول شوقي ضيف في أهمية المثل: "هو فلسفة الحياة الأولى وله في تاريخ الفكر أهمية لا يدركها إلا من تعمق في دراسة نفسية الشعوب ودراسة التطور الفكري عند البشر"[3].

حظي المثل باهتمام البلغاء والفصحاء والعلماء قديما وحديثا فهو مصدر من مصادر اللغة العربية.

حيث يقول ابن عبد ربه في عقده: "الأمثال هي وَشْيُ الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْى المعاني، والتي تخيَّرتْها العربُ، وقَدَّمتها العجم، ونُطِق بها في كل زمان، وعلى كلِّ لسان، فهي أبقى من الشعر،

([1])- محمود اسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1992، ص03 .

([2])- عاطف الزين سمع، الأمثال و المثل و التمثيل و المثلان في القرءان الكريم ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د ط، 1987، ص26.

([3])- محمود اسماعيل صيني، مرجع سابق، ص06 .

وأشرف من الخطابة، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها، ولا عَمَّ عُمومَها، حتى قيل: أسير من مثل"[1]، و يقول طه حسين: "الأمثال بطبيعتها أدب شعبي مضطرب متطور يصحّ أن يؤخذ مقياسا لدرس اللغة ومقياسا لدرس الجمل القصيرة كيف تتكون، ومقياسا بنوعٍ خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني"[2] .

ولأن المثل يدخل ضمن الأدب التعليمي التأملي فإنه يعبّر عن الحركة الفكرية والأخلاقية التي تصاحب السلوك، فهو تَكَّن من التجربة الحياتية وفرض نفسه في إيقاع الحياة اليومية بحكم أنه أفكار جاهزة تختصر التفكير وتختصر الوقت في هذا العصر السريع، فكل فرد في هذا الزمان بحاجة ماسة لشروحات وتوضيحات لما يدور حوله ولكن بشيء من التسيير في الأمور والسرعة في الإجابة بحيث تقرب الفكرة من الذهن بما يمكن من استيعابها بأقصر الأداء وأوضح البيان، وكما يرى توفيق الحكيم: "فإن مثلا واحداً أنفع للناس من عشرة مجلدات لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحي"[3] .

ومن ثم فإننا نستطيع القول أنه كلما اتسعت دائرة الاختراعات والاكتشافات كان لابد أن تتسع معها دائرة الأمثال. ومما زاد في أهمية المثل تعدد الثقافات المستدعية له، وإن بدت متباعدة كالدين والسياسة وحتى الاقتصاد أو ثقافة التسلية والجانب الاستمتاعي في الحياة كالفن و اللّعب، وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المثال جزء من النشاط الثقافي المجتمعي .

كما يدخل المثل في صلب الفكر الإسلامي اعتبار أن القرآن الكريم يحوي عددا كبيرا من الأمثال، إذ ذكر العلماء العرب أن القرآن يتكون من سبعة معانٍ منها المثل، فقد ورد في تفسير ابن جرير الطبري (ت310هـ) في كلامه عن لغة القرآن: "...إن قوماً من العلماء ذهبوا إلى أن الأحرف السبعة هي معانٍ جملتها الأمر والنهي، الوعد والعيد، الجدل، القصص والمثل"[4].

كما أن الرسول (ﷺ) قد استعان على أداء رسالة الإسلام بعدة أمثال أُعتبرت قطعا من الحكم، وأمثلة ذلك:

([1])- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، 1983، ج3، ص63 .

([2])- طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996، ص331.

([3])- موسى محمد حمود خصر، التجوال في كتب الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 2002، ص15.

([4])- أحمد شعلان، موسوعة الأمثال المصرية والتغيرات السائرة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003، ج1، ص07.

﴿الحكمة ضالة المؤمن﴾، ﴿اتقوا النار ولو بِشِقَ تمرة﴾، ﴿إن الصِّدق يهدِي إلى البرّ وإن البرّ يهدي إلى الجنة﴾[1] .

وعليه فإن من المستحيل أن تفقد الأمثال بشكل عام أو خاص أهميتها والدور الذي تؤديه إلا إذا حدثت تحولات جذرية في قيم ومفاهيم المجتمع، وفي فترة جدّ وجيزة وهو ما لا يمكن حدوثه أبداً، ومن ثم ولما كانت الأمثال أو النصوص الشعبية التي لا يمكن إهمالها و إهمال أهميتها الكبيرة فغن فوائدها هي الأخرى كثيرة، لا تعدى ولا تحصى نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

– **المدح**: قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابه أسرار البلاغة مبرزا صورا في فوائد المثل: "فإن كان مدحاً، كان أبهى وأقحمن و أنبل في النفوس وأسرع للإلف، وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح"[2]، ومثال ذلك ما جاء في القرآن الكريم في وصف الرسول (ﷺ) وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَهِ وَرِضْوَانًا ﴾[3] .

– **الذّم**: كقول أحدهم :

ولَوْ لَبِس الحِمَـارُ ثِيَـاب خـزٍّ لَقَـالَ النَّـاس يَا لَكَ مِن حِمَـار

يقول الجرجاني في هذا الباب: "وإن كان ذما، كان مسّه أوجع و مَيْسَمُه ألدغ، ووقعه أشدُّ وحده أحدُّ"[4] .

– **الحجاج**: أو النقاش ويكون في حالتين: المدح والذم. يقول الجرجاني أيضا: "و إن كان حجاجا: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر" [5]. ومن أمثلة الحجاج قول أبي العتاهية:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَة لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبْسِ [6]

([1])– محمود اسماعيل صيني ، مرجع سابق، ص22.

([2])– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1409هـ/1988م، ص 93.

([3])– سورة الفتح، الآية 29.

([4])– عبد القاهر الجرجاني، مصدر سابق، ص 94.

([5])– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([6])– ينظر: عاطف الزين سميع، مرجع سابق، ص23.

– **الإفتخار**: يتابع الجرجاني قائلا: "وإن كان افتخارا كان شأنهُ أبعد، وشرفُه أجدَّ ولسانه أندُّ"[1] مثال ذلك قول عبد المطلب جد رسول الله (ﷺ) :

لاَ يَنْـزِلُ المَجْـدُ إلاَّ فِـي مَنَـازِلِنَـا كالنَّوْمُ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى المقَلُّ [2]

وأما ما يجيء في القرآن الكريم من أمثال في بيان عظمة الله تعالى وكماله فلا يسمى افتخارا بل اقتدارا ومثال قوله تعالى:﴿ وَمَا قَـدَرُوا اللَهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمـاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُـونَ ﴾ [3] .

– **الإعتذار**: قال شاعر :

لَا تَحْسِبُوا رَقْصِي فِيمَا بَيْنَكُم طَرَبَا فَالطَّيْر يَرْقُص مَذْبُوحًا مِنَ الأَلَمِ

ويقول الجرجاني في الاعتذار: "...وإن كان اعتذارا: كان إلى القبول أقرب، والقلوب أخلب وللسخائم أسلُّ"[4] والسخائم جمع سخيمة، وهي "الحقد والضغينة، يقال سللت سخيمته باللّطف والترضي"[5]

– **الوعظ**: وذلك عن طريق النصح والإرشاد. يقول الجرجاني مفصلا: "...وإن كان وعظا كان أشفى للصدر وأدعى إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والرجز"[6]، ويكثر هذا النوع في القرآن الكريم حيث يحوي عددا لابأس به من الأمثال، وذلك للعبرة والعظة وتقريب الفهم أكثر .

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَه وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [7] .

([1])– عبد القاهر الجرجاني، مصدر سابق، ص 94.

([2])– ينظر : عاطف الزين سميع، مرجع سابق ص24.

([3])– سورة الزمر، الآية 67.

([4])– عبد القاهر الجرجاني، مصدر سابق، ص 94.

([5])– إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، القاهرة، د ط، 1980، ج1، ص422.

([6])– عبد القاهر الجرجاني، مصدر سابق، ص 95.

([7])– سورة الحشر، الآية 21.

المبحث الأول: المثل العربي: مفهومه، أقسامه وخصائصه

ضَرب المثل من أكثر الأشكال التّعبيريّة الشّعبيّة انتشاراً وشيوعاً، ولا تخلو منها أيّة ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الشّعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، وتجسّد أفكارها وتصوّراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها، في صورةٍ حيّة وفي دلالةٍ إنسانيّةٍ شاملة، فهي بذلك عصارة حكمة الشّعوب وذاكرتها. وتتّسم الأمثال بسرعة انتشارها وتداولها من جيلٍ إلى جيل، وانتقالها من لغةٍ إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، بالإضافة إلى إيجاز نصّها وجمال لفظها وكثافة معانيها. كما نجد أنّ الأمثال الشّعبيّة حظيت بعنايةٍ خاصّة، عند الغرب والعرب على حدٍّ سواء.

المطلب الأول: تعريف المثل

1_1-المثل لغة:

عند ابن منظور: "الشيء الذي يُضرَب لشيءٍ مَثَلاً فيُجعَلُ مِثْلَهُ" [1].

عند الجوهريّ: "المثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال. ومَثَلُ الشيءِ أيضاً: صفَتُه"[2].

في المعاجم الفرنسية: "تشير المعاجم إلى أن المثل (proverbe) هو جملة خيالية ذائعة الاستخدام ، تدل على صدق التجربة أو النصيحة أو الحكمة ، يرجع إليها المتكلم . وقديما عرفوا المثل بأنه حكمة شعبية قصيرة تتداول على الألسنة ، أو هو جملة غالبا ما تكون قصيرة ، تعبر عن حدث ذي مدلول خاص ، لكن يبقى على المستمع تخمينه "[3].

وتشتمل كلمة مثل على عدّة معانٍ في معاجم اللغة العربية، نذكر من بينها :

([1])-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، د ت ط، ج6، ص4133، مادة (مثل).

([2])-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين،ط4، 1990 ، ج5، ص 1816 .

([3])-علاء اسماعيل حمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية، اتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق، د ط، د ت ط، ص1.

الصفة:- مَثَلت الشيء أي وصفته قال تعالى:﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾[1]، أي: صفتها .

العبرة: بحيث يعطى من المثل عبرة أو موعظة ما ، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ ﴾[2]

الحكمة: سمّي المثل حكمة لانتصاب صورها في العقول لأنها مشتقة من المثول و الانتصاب يقول أبو هلال العسكري(ت395هـ):"إن كل حكمة سائرة تسمى مثلا"[3].

القصة: و نعني بها التمثيلية أي حمل صورة إما حقيقة أو خيالية من صورة المنقول إلى صورة المحسوس، يقول الله تعالى عن جبريل-عليه السلام-﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيا﴾[4].

ذكر لحال من الأحوال سواء حسنة أو قبيحة: قال عز و جل: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5]، أي لهم الصفات الذميمة و له سبحانه الصفات العلى ذات الشأن العظيم .

و قد ورد في الأسفار العبرية (Màsàl) للدلالة على الحكم و السيادة فقالوا: (Mosél) (الحاكم) و (Himsil)(ولي الحكم)، و اشتقوا الاسم على وزن فُعْل، فقالوا(Mosél-Musl) (الحكم و السلطة و السيادة) [6].ووردت صفة الحكم منسوبة إلى الله وإلى الناس وإلى الأجرام السماوية كذلك.

و بالرجوع إلى اللغة الآشورية البابلية نجد لفظ (Masàlu) ومعناه لَمْعٌ و سَطْعٌ، و في العربية: مَثَلَ القمرُ إذا ظهر ، و لذلك لابد من وجود علاقة بين نور الأجرام السماوية و بين معاني الأمثال .

([1])- سورة الرعد، الآية 35 .

([2])- سورة الزخرف، الآية 56 .

([3])- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تح: أحمد عبد السلام و أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص11.

([4])- سورة مريم، الآية18 .

([5])- سورة النحل، الآية 60 .

([6])- عبد المجيد العابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، ط1، 1956، ص3.

أمّا التمثال في العربية و كذا: (Masàl-Messàlé-Mesl)[1] في الحبشية فكلها بمعنى واحد و هو الشيء المصور و قد يبدوا هذا المعنى لأول مرة بعيد الصفة عن معنى الحكم و السيطرة و لكن القرآن الكريم قد أورد بعض الألفاظ الدالة على الصور المعبودة و من بينها تماثيل إشارة إلى معبودات قوم إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[2]. فاللفظ أطلقه العرب القدماء على الصور التي تصنع لأغراض شتى منها العبادة.

1_2–المثل اصطلاحا:

المثل في الاصطلاح هو ذلك الفن من الكلام المتميز بخصائص و مقومات تجعله جنسا أدبيا قائما بذاته[3]، وقد عرّفه البلاغيون بأنه: "اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين مضربه و مورده مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[4]. و للقدامى آراء في تعريف مصطلح المثل.

يقول أبو الهلال العسكري (ت395هـ): "الأمثال من أجلِّ الكلام و أنبله و أشرفه و أفضله، لقلة ألفاظها و كثرة معانيها و يسر مؤونتها على المتكلم مع كبير عنايتها و جسيم عائداتها"[5] .

ويقول الراغب الأصفهاني (ت502هـ): "المثلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليُبيّن أحدهما الآخر و يُصوّره"[6] .

أما عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) فيقول: "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام و بها كانت تعرض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريحية فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه"[7] .

([1])– ينظر : عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص7 .

([2])– سورة الأنبياء، الآية 52 .

([3])– موسى محمد حمود خصر ، مرجع سابق، ص11.

([4])– عاطف الزين سمع، مرجع سابق، ص12 .

([5])– أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ص12.

([6])– الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1 ، 1998، ص426 .

([7])– موسى محمد حمود خصر، مرجع سابق، ص 12.

بينما يعرّفها ابن القيم الجوزية (ت751هـ) بقوله: "هي شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل و لُبُّهُ و ثمرته"[1] .

ومن المعاصرين الذين يعرفون المثل، فنجد إميل بديع يعقوب يقول هو :"عبارة موجزة بليغة شائعة الاستعمال يتوارثها الخلف عن السلف وتمتاز عادة بالإيجاز وصحة المعنى وسهولة اللغة وجمال الجرس"[2].

ويقول أحمد أمين :"إن الأمثال لا تستدعي إحاطة بالعالم و شؤونه و لا تتطلب خيالا واسعًا ولا بحثًا عميقا إنما تتطلب تجربة محلية في شأنٍ من شؤون الحياة"[3] .

أمّا الدكتور جبور عبد النور فيقول :"عن المثل جملة من القول مقتطعة من كلامٍ أو مرسلة لذاتها، تنقل ممّن وردت فيه إلى مشابهة بلا تغييرٍ"[4] .

وبهذا يمكن القول: إن الأمثال عبارات موجزة، سائرة، متداولة، صائبة المعنى و تُشَبَّهُ بها حالة حادِثة بحالةٍ سالفة، و هي فكرة حكيمة تتعرض للحياة البشرية و تقلّباتها لتشتمل الخيال، باستعمالها للمجاز، وهذا ما يبقيها وسيلة جد تعبيرية تجمع بين جمال الأسلوب و حسن المعنى فتسهّلُ توطيد أفكارهم و إشاعة مقاصدهم، خصوصاً و أنها ليست وقفا على فئة دون أخرى بل تنتقل بين العامة و الخاصة .

المطلب الثاني: الخصائص العامة للمثل:

اتفق العلماء على وضع قواعد من بينها أن "الأمثال لا تتغيّر" ، و إنما تلزم حالة واحدة وهي الحالة التي جرت عليها لأول مرّة مهما اختلفت الأحوال التي تضرب فيها بعد ذلك ، لأن المساس بها يُخِلُّ بمدلولها و يفقدها الكثير من قيمتها الأدبية و اللغوية حتى التاريخية .

([1])- موسى محمد حمود خصر، مرجع سابق ، ص12.

([2])- المرجع نفسه، ص04 .

([3])- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط11 ، 1975، ص64 .

([4])- موسى محمد حمود خصر ، مرجع سابق، ص14 .

يقول الزمخشري (ت538هـ): "و لم يضربوا مثلا و لا رأوه سهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول و القبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، و من ثم حوفِظ عليه و حُمِيَ من التغيير" [1] .

و رُوِي عن أبي عمر بن العلاء (ت158هـ) قوله: "و الأمثال تؤدي على ما فرط به أول أحوال وقوعها"[2] .

فالأمثال تحكي ما جاء عن العرب من غير تغيير في صيغتها كأن نقول للرجل (الصّيفَ ضيّعتِ اللّبن) بكسر التاء لأنها حكاية، يضرب هذا المثل لمن لم يستفد من الفرصة المناسبة في وقتها و حاول ذلك متأخرا .

وتشبه الأمثال الشعر في تحملها للضرورات فهي "قبلة للخروج عن القياس ".

وبسبب حرص العرب على ألفاظها و حتى تكون أوقع في النفس، جاءت خارجة عن القياس أحيانا، قال ابن جني (ت392هـ): "الأمثال تجري مجرى المنظوم في تحملِه للضرورة" [3] .

وقد تصدر الأمثال عن فئات من الناس لا تتحكم في اللغة ولا تتقن قواعدها كالعامة فيأتي الوقع في اللحن، ومن ثَمَّ تسير بين الناس دون تغيير أو إصلاح .

قال السيوطي (ت911هـ): "هكذا جاء الكلام و إن كان ملحونًا، لأن العرب تُجري الأمثال على ما جاءت لتستعمل فيه الإعراب"[4] .

ومن أهم خصائص الأمثال:

- **الإيجاز**: "ليس في كلام الناس أوجزُ من الأمثال"[5] ، وذلك لقلة كلماتها و يسرها بسبب جلالة المعاني التي تطوي العديد من التفضيلات حتى و إن كانت تستشير أحداثا تاريخية ذات وقائع متعددة، وهذا الإيجاز في الأمثال أبرزُ صفاتها، وأخصّ خصائصها، وبه تمتاز على ما عداها من فنون

([1])- موسى محمد حمود خصر ، مرجع سابق ، ص20.

([2])- المرجع نفسه، ص21.

([3])- المرجع نفسه، ص22 .

([4])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([5])- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988، ص 256.

الأدب، فقد أفصح بعض العلماء عن هذه الميزة بعبارات مختلفة فقال أبو عبيد البكري: "والأمثال مبنية على الإيجاز والاختصار، والحذف والاقتصار"[1]، وقال أيضاً: "والأمثال موضع إيجاز واختصار، وقد ورد فيها من التوسع والحذف ما لم يجيء مثله إلا في أشعارهم"[2]، وقال الزمخشري: "حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوّحتْ فأغرقت في التصريح، وكَنَت فأغنت عن الإيضاح"[3].

وعلينا الآن أن نتبيّن مدى الإيجاز في الأمثال العربية، وسنرى أنّ كثير منها يتكون من كلمتين أو ثلاث، ثم يؤدي على الرغم من هذا، معاني كلية، منها:

- الشّماتة لُؤمٌ (يضرب لمن يفرح بنكبة الإنسان من لؤم أصله).
- الحربُ خِدْعةٌ (قيل لأن الخداع من صفة الحرب والمحاربين).
- السِرُّ أمَانةٌ (يضرب لمن يفشي سرا أُخبِر به).
- اللّيلُ أعورٌ (قيل لأته لا يُبصر فيه، فيكون فيه لُبس).
- حُكمُك مُسمط (يضرب لمن حكمه جائز و لا يعفُ).

- **إصابة المعنى**: لأن الأمثال نتاج تجربة أو تأمل في الحياة و أحداثها التي تنِمَّ عن معرفة و خبرة لدى أصحابها المتميزين بالملكة اللغوية و السليقة الأدبية التي تظهر من خلال كلامهم المحمل بالتشبيه بمختلف صوره وأنواعه ، فأساس المثل التشبيه، ومن ثَمّ تتسم دائماً بالصدق والواقعية، ولولا ذلك ما تلقاه الناس بالقبول والاستحسان، وما تداولوها واستشهدوا بها في كلامهم[4].

ولهذا تُصيب الأمثال المعاني دائما، وتقع منها في الصميم، فقد جاءت كثير منها في صيغ النصوص القانونية والأحكام العامة، كصيغة الجملة الإسمية التي تدل على الثبوت والدوام، وصيغة الجملة الإسمية التي تدل على الشمول والعموم، وصيغة الجملة الشرطية التي تدل على ترتب شيء

(1)- أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، بيروت، د ط، 1971، ص 47.

(2)- المرجع نفسه، ص 97.

(3)- الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب (مقدمة الكتاب)، دار المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1962، ص3.

(4)- ينظر: عبد المجيد قطامش، مرجع سابق، ص 260.

على شيء، وصيغة الأمر والنهي اللذين يستخدمان في الحث على الخير، والزجر عن الشر، أو إسداء النصيحة والموعظة، والأمثلة كالآتي بترتيب الصيغ المذكورة:

- كأَنّ عَلى رؤوسِهم الطّيرُ (يضرب للساكن الوادع) .
- عَجْعَجَ لما عضَّهُ الطِّعَانُ (عجعج أي: صاح، يضرب لمن يضج إذا لزمه الحق) [1]
- نِعْمَ مَأوَى المِعْزَى ثرْمدَاءُ (يضرب للرجل المعروف كثيرا يؤمر بإتيانه ولزومه) .
- إذَا تَكلَمت في لَيْلٍ فَاخفضْ، وإذَا تَكلَمت في نَهَارٍ فَانفضْ (يضرب للالتفات هل من تكره؟).
- أَعطِ أَخَاك ثَمَرَة فإن أبى فجرمة (يضرب للذي يختار الهوان على الكرامة) .

- جودة الكناية: كما تختص الأمثال عن الأقوال الأخرى "بجودة الكناية"، يقول ابن منظور (ت392هـ): "والكناية أن تتكلم بشيء و تريد آخر و كنّى عن الأمر بغيره، يُكنَّي كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، وكُنى الرؤيا الأمثال"[2] .

"والكناية بهذا المعنى اللغوي، أرحب صدراً وأفسح مجالاً من الكناية التي اصطَلح عليها علماء البلاغة، وقسموها ثلاثة أقسام: كناية عن الصفة، وكناية عن الموصوف، وكناية عن النسبة، ذلك أنها تشمل هذه الصور، وتشمل غيرها من كل كلام يُتكلم به في شيء، ويراد غيره. وللكناية والتعريض فضلهما الكبير في تصوير المعاني، وتشخيصها في مناظر تتأنّق رونقا وجمالاً، هذا فضلاً عن أنهما يُسعفان الإنسان حينما يريح التلويح لا التصريح، والإبهام لا الإفصاح"[3].

وهكذا كلّ الأمثال، لا يصرح فيها بالمعاني المرادة، وهي مضارها، وإنما يُكنى عنها بعبارات وألفاظ تفيد معاني أخرى، وهي مواردها وأصولها، وتكتسب المعاني المرادة من الأمثال بهذه الكناية وضوحاً وإشراقاً، وتكتسي حللاً زاهية من الجمال والبهاء ومثل ذلك:

- ما صدقةٌ أفضل من قولٍ (يقال في حفظ اللسان) .

([1])- الحق: الأثر.

([2])- ابن منظور، مصدر سابق، ص 3945، مادة (كنى).

([3])- ينظر: عبد المجيد قطامش، مرجع سابق، ص 267-268.

- بَلَغَ السكِين العَظم (يضرب لما يصل الأمر إلى أشده) .
- أسْتُر عَورَة أخِيك لما يعلمه فِيك (يضرب عند التدخل في أمور الغير).
- ذَهبَ أمسُ بما فيهِ (يضرب اذا ذهب الشيء وفات).
- جَاءالسَّيل بِعُود سبيٍّ (يضرب للنائي النازح).
- يُكوى البَعِير من يسَير الدَّاء (يضرب في حسم الأمر الضائر قبل أن يكبر و يتفاقم).
- **الذيوع والسيرورة:** يقول شوقي ضيف :"إذا كان القصص الذي أضيف إلى الجاهلين لا يحمل لنا صورة دقيقة للنثر الجاهلي بحكم تأخره في التدوين فإن الأمثال تحملُ لنا غير قليل من هذه الصورة، إذ أن من شأنها أنها لا تتغير وأن تظل بصورتها الأصلية بحكم إيجازها و كثرة دورانها على الألسنة"[1] .

هذه الاستمرارية والسيرورة التي يختصر بها المثل تمتد إلى آلاف السنين فالمثل القائل :"لسَانُكَ حِصَانُكَ إنْ صُنْتَهُ صَانَكَ وإنْ هنْتَهُ هَانَك" يمتد إلى عصر الفراعنة حيث يقولون "إن الإنسان يبني ويهدم بلسانه"، كذلك يقول المثل الحديث "أنت تريد و أنا أريد والله يفعل ما يريد" وهو في المثل الفرعوني: "الإنسان يريد والله يفعل ما يريد"[2] .

ولهذا تعمّر الأمثال طويلاً في لغة الشعب أو الأمة، إمّا على الألسنة وإما في بطون الكتب. والعرب يشبهون بها كل شيء يذيع ويشيع، فيقولون: "أسير من مثل"[3].

ولم ينس مدونو الأمثال أن ينوّهوا بهذه الخاصية-، كما لن ينس الشعراء أن يلمّوا بهذا المعنى، إذ يقول ابنُ مقبل: [4]

ظَنّي بِهِم كَعَسى وهُم بِتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الأمثَال

(1)- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط9، 1992، ص404.

(2)- أحمد شعلان، موسوعة الأمثال المصرية والتغيرات السائرة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003، ج6، ص12.

(3)- ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج3، ص63.

(4)- ابن منظور، مصدر سابق، ص724، مادة (جوز).

"ولكن ليس هذا أن الأمثال على درجة واحدة من الشيوع والانتشار، وإنما تتفاوت في هذا الأمر فيكون بعضها أَسيَر من بعض، ولذا وجدنا العلماء يقولون في تعليقهم على الأمثال: "ومن أمثالهم السائرة كذا"، أو "ومن أمثالهم السائرة على وجه الدّهر كذا" مما يشعر بتفاوت حظوظها من الشهرة والذيوع، كما وجدناهم يصفون بعضها بالشرود فيقولون: "هذا مثل شارد أوشَرود"، يعنون بذلك الذي يشيع ويشرد حتى لا يُستطاع ردّه، ولا يمكن إخماده"[1].

وبهذا نستطيع أن نقول: إنّ بعض الأمثال يُؤتى حظّاً موفوراً من الشهرة يجعله يتغلغل في أعماق الأزمنة والعصور، وإنّ بعضها يكون أقل حظّاً، بحيث ينحصر في بلد أو عصر بعينه، أو في فئة من الناس، كالزرّاع والنساء والتجار.

– **الثّبات**: من سمات المثل الثبات في التركيب والدلالة؛ إذ يُقال كما وَرَد؛ لأن القاعدة في الأمثال أنها لا تتغيّر، بل تجري كما جاءت، وقد جاء الكلام بالمثل وأُخذ به وإن كان ملحوناً، لأن من شرط المثل أن لا يغير عمّا يقع في الأصل عليه. ويؤكد المرزوقي ما سبق بقوله: من شرط المثل ألا يغيّر عمّا يقع في الأصل عليه، ألا ترى أن قولهم (أعط القوس باريها) تسكن ياؤه، وإن كان التحريك هو الأصل، لوقوع المثل في الأصل على ذلك، وكذلك قولهم (الصّيف ضيعتِ اللّبن) لما وقع في الأصل للمؤنث لم يغير من بعد، وإنْ ضُرِب للمذّكر[2].

"ويفصح الزمخشري عن السّر في المحافظة على ألفاظ المثل وحمايته من التغيير، بأنّه متمثل في نفاسة المثل وغرابته، يقول: ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثمَّ حوفظ عليه، وحُمي من التغيير"[3].

ممّا سبق يمكن القول بأنّ من حق المثل أن تُحمى صيغته وألفاظه من التغيير، وأن يبقى على ما جاء عليه مهما اختلفت المضارب والأحوال، لأنّ المساس به يُخلّ بمدلوله، ويخرجه من باب الاستعارة وجودة الكناية من ناحية، ومن ناحية تفقد الأمثال كثيراً من قيمتها الأدبية واللغوية والتاريخية، إذا تعرضت للتغيير، حفاظاً على سمة الثبات فيه.

([1])– عبد المجيد قطامش، مرجع سابق، ص 271.

([2])– ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: فؤاد علي منصور، ط1، 1998، ج1، ص 488.

([3])– المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي، الفاخر في الأمثال، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2011، ص13.

- **حسن التشبيه:** أساس المثل التشبيه أيّ مانت الصورة التي جاء عليها: أي تشبيه اصطلاحي أو صورة استعارة، أو صورة كناية، أو صورة حقيقية، ففي كل مثل تشبيه مضربه بمورده.

وللتشبيه مكانته في كلام العرب، ومنزلته في بلاغتهم، إذ صاغوا معظم كلامهم في صُور منه وفي ذلك يقول المبرد (ت 286 هـ) "والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد"[1].

وإذا كان التشبيه بجميع صوره وأشكاله، من أساليب البيان المتفق على بلاغتها، فإنه في الأمثال يبلغ قمة البلاغة، ويحتل ذروتها، ذلك أنّ مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التي قد يصعب تصورها واستكناه حقيقتها، ومن ثَم يلجأ الناس لضرب الأمثال لها بأمور حسية، وأحداث واقعية[2].

ونوضّح الآن بعض الأمثال لنرى مدى بلاغة التشبيه وحسنه فيها فالواضح من هذه الأمثال جميعاً أن مضاربها، وهي المعاني المرادة للمتمثّل، أمور معقولة، لا تدرك إلا بالفكر والنظر:

- جَاء القَوم كالجَرادِ المشتَعل (يضرب للمذعور).
- هِمَا كَفرسِي رهَان (يضرب للاثنين يستبقان فيستويان).
- كَان مثل الذّبحَةِ في النَّهرِ (الذبحة وجع يأخذ الحلق ويضرب لمن يخال صديقا فيتبين غشّه).
- إنما هو كَبَرْق الخَلب (يضرب لمن يعد ثم يخلف).
- سَمِنَ حَتى صَار كَأَنَّهُ الخَرْسُ (الخرس هو الدن العظيم، يقال فيمن سمن كثيرا) .

وبالإضافة إلى هذا فإن الأمثال قد نبتت في بيئة عربية فاختصت بأساليب عربية متنوعة الأداء، خبرية وإنشائية تجمع بين جمال التعبير ودقة التصوير .

كالسجع غير المتكلف الذي يميزه الجرس الجذاب في مثل: "إنّ أخَاكَ مَن آسَاك" ، "حِفْظُ اللِّسَان راحَة الإنسَان"[3] .

كذلك الجناس منه التام في مثل "الشَّرط أمْلَك، عليْك أَوْلَك" .

([1])- المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، ج3، ص70.

([2])- ينظر: عبد المجيد قطامش، مرجع سابق، ص 265.

([3])- محمود اسماعيل ناصف، مرجع سابق، ص10.

والناقص الذي يرد كثيرا فيعطي وقعا خاصا للأمثال كمثل: "أعْطِ أخَاك تمرةً فإنْ أبى فجَمْرة"، "إذا حَانَ القَضَاء ضَاقَ الفَضَاء"، "الاعْتِرَاف يهْمد الاقتِرَاف" .

هذا عن الجانب اللفظي من المحسنات البديعية أما الجانب المعنوي فنجد فيه الطباق والمقابلة اللذان يكثران في الأمثال وذلك لإبراز المعنى وزيادة توضيحه وتزيين الأسلوب وإقرار المراد في الأذهان فمن المقابلة: "احرِصْ عَلى المَوْتِ تَوْهَب لَكَ الحَيَاة"، "الدُّنيَا سِجْنُ المؤمِن وجَنَّة الكَافِر" ومن الطباق: "عيُّ الصَّمت أحْسَنُ مِنْ عيّ المَنْطِق" .

المطلب الثالث: الأقسام التاريخية للمثل العربي

يقسّم المثل العربي بحسب عمره إلى :

4_1-الأمثال القديمة: تبدأ من العصر الجاهلي وتمتد حتى بداية العصر العباسي الأول، "تظم الأمثال الجاهلية والاسلامية التي جمعها علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)" [1]، وهي أقدم ما عُرف من الأمثال العربية، وقد لاقت الكثير من الاهتمام في المراكز الثقافية التي كان يعقدها العرب في جاهليتهم والتي صدر عنها فيضٌ زاخر من القصص والأخبار والأمثال كأسواق الجزيرة العربية التي كانت تتخذ محطات على خطٍ دائري يمتد على مناطق ساحلية، ومراكز الملوك ومجالسهم بالعراق، ويرجع الفضل الأكبر في نشر المثل العربي القديم إلى هذه المراكز .

وفي العصر الإسلامي تتابع استعمال الأمثال من طرف العامة والخاصة، وقد أرجع النبي (ﷺ) سبب معظمها إلى لقمان الحكيم . عليه السلام . ، ولكن لما كان في هذه الفترة متغيرات اجتماعية عدة جاءها الإسلام فإن الأمثال قد تأثرت بطريقة أو بأخرى مثلها مثل الأشعار الشعبية لأنها تستمد قصصها وحوادثها من واقع الناس المعيشي وحياتهم. وهذا ما ساعد على نشأة أمثال جديدة اختلفت في الشكل عن القديمة و لكنها شابهتها في مضمونها الإنساني العام، "فالخير و الشر والسعادة والشفاء والفضيلة والرذيلة أمور تعرفها شعوب هذه الأرض في كل وقت وحين، أما شكل التغيير كالمجاز مثلا فإنه على العكس من ذلك يتأثر على الأخص بالتيارات الاجتماعية"[2] .

([1])- محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، دار النفائس، لبنان، ط1،1988 ، ص43.

([2])- رودولف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، تر: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، لبنان، ط1، 1391هـ/1971م، ص46.

إن هذه التغيرات الحاسمة التي حدثت على مدى التاريخ الإسلامي كانت سببا أيضا في جعل الأمثال القديمة تصبح أقل تداولا بين أوساط الشعب، وجعل أمثالا أخرى تحل محلها وهي الأمثال المولدة التي كانت تزداد يوما بعد الآخر.

وبالجملة فقد وجدنا أن الأمثال تقف إلى جانب الشعر في الكشف عن حياة العرب في ذلك العهد البعيد، وتخطّ معه صفحات من تاريخهم، كما أنها تقاسمه الإبانة عن مظاهر البلاغة العربية التي لا يوجد لها نظير في سائر اللغات.

4_2-الأمثال الجديدة:

وهي الأمثال المولدة التي جمعت وأضيفت إلى الأمثال القديمة منذ القرن الرابع الهجري[1] وقد أطلق هذا الاصطلاح على الأمثال التي جرت على ألسنة الناس في العالم الإسلامي بعد أن ضعف النفوذ العربي في نهاية عصر بين أمية، ولعل البوادر الأولى للمثل المولّد قديمة ترجع من قبل الإسلام حين سُمِحَ لبعض أمثال الشعوب الشرقية والغربية بالتسرب إلى العرب القدامى في جزيرته، غير أن هذه الأمثال الأجنبية لم تكن من الكثرة والنفوذ بحيث تستطيع أن تسيطر على العربية في ذلك الوقت المبكر، فاحتفظ بالطابع القديم في صياغة الأمثال وضربها حتى نهاية العصر الأموي أين وجدت الثقافات الأجنبية مجالا واسعا للظهور والسيطرة على مناهج الفكر والتعبير فشقت أمثال المستعمرين طريقها إلى العربية في قوة وكثرة[2]، ومن أمثلتها:

كنْ يهُوديًّا تمَام وإلَّا فلَا تلْعَبْ بالتَوْرَاةِ (يضرب للشخص يستخدم وسيلة لا تنفع كالكذب) .

عليْه مَا عَلى أَصحَابِ السَّبْتِ/ علَيْه مَا عَلى أَبي لهَبٍ (أي اللعنة) .

قَدْ جَعَل إحْدَى أُذَنيْه بُستَاناً والأخْرَى ميْداَناً (لمن لا يسمع الوعظ) .

ضِيق الحوْصَلة (يضرب للبخيل) .

رَقَصَ في زَوْرَقِهِ (إذا سُخر به وهو لا يشعر) .

([1])- محمد توفيق أبو علي، مرجع سابق، ص43.

([2])- عبد المجيد العابدين، مرجع سابق، ص 174 - 175 .

هذه الأمثال المولدة زاحمت الأمثال القديمة كثيرا، وقد جمع الميداني (ت518هـ) معظمها في كتابه "مجمع الأمثال"، وأرد لها حيزاً في نهاية كل فصل من فصول كتابه [1] .

4_3-الأمثال الحديثة:

وهي الأمثال التي جمعها الأوروبيون قبل غيرهم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين من دولٍ عربية فصيحة اللسان أهمها: سوريا، فلسطين، العراق، مصر وغيرها، ثم قاموا بتدوينها ونشرها[2] .

المطلب الرابع: أنواع الأمثال العربية:

اتفقت معظم الكتب والدراسات أن الأمثال العربية لا تتعدى الثلاثة أنواع وهي :

5_1-الأمثال الموجزة: وهي الأقوال السائرة التي تشتمل على معان صائبة، وتشبه فيها حالة مضربها بحالة موردها، وتتيع هذا النوع مدونو الأمثال العربية، واعتنوا به جمعا وشرحا، كما تبينوا موارده من مضاربه. ويدخل فيه الحكم الموجزة مثل "السر أمانة"، أو بعض الأمثال الشعرية المرصعة بأبيات الحكمة، كقول أبي فراس الحمداني (ت357هـ) [3] :

وَنَحْـنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّـطَ عِنـْدَنَا لَنَا الصّدرُ، دُونَ العالَمينَ، أو القَبرُ

تَهُـونُ عَلَيْنَا في المعَـالي نُفُوسـُنَا و منْ خطبَ الحسناءَ لمْ يغلِه المهر

وقال زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَهُ وَمَـنْ لَمَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَمَ يُـكَـرَّمِ [4]

ويتضمن هذا القسم الأمثال التي جاءت على وزن ـ أفعل من ـ والتي تدل على المبالغة في التشبيه كقولهم: "أَجْوَد مِن حَاتم" (في معنى الكرم)، "أَرقّ مِن الهَواءِ" (في معنى اللطافة)، "أَروَى مِن الحُوتِ" (في معنى العطش)، "أَرْوَغ مِن ثَعلَب" (في معنى المخادعة والمراوغة) .

([1])- ينظر: رودلف زلهايم، مرجع سابق، ص47 .

([2])- ينظر: المرجع نفسه، ص43 .

([3])- ينظر: موسى محمد حمود خصر، مرجع سابق، ص16 .

([4])- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

5_2-الأمثال القياسية:

"وهو نوع من التشبيه يسمّيه البلاغيون بالتمثيل المركب"[1]، وهي الأمثال التي تسرد قصصا وصفية بغرض توضيح فكرة ما أو تثبيتها عن طريق التشبيه أو المقاربة أو القياس، ويتناول هذا النوع أمرين هما:

- تصوير نموذج في السلوك الإنساني بقصد التأديب أو التهذيب .
- تجسيد مبدأ متعلق بملكوت الله تعالى ومخلوقاته .

وتكثر هذه الأمثال في القرآن الكريم وفي كلام رسول الله محمد (ﷺ) فقد رُوِي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قوله: ﴿مثل الدنيا كمثل الحية، ليّنٌ مسها، والسم الناقع في جوفها يهوي إليها الغِرّ الجاهلُ، ويحذرها اللّبّ العاقل﴾[2] .

وقد جمع أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي(ت930هـ) طائفة كبيرة، من هذه الأمثال منها: "مثل العالم مثل النجوم التي يُقتدى بها، والأعلام التي يُهتدى بها، إذا تغيبت عنهم تحيروا، وإذا تركوها ضلّوا" [3] .

5_3-الأمثال الخرافية:

هي تلك الكلمات الموجزة السائرة التي قيلت على ألسنة الحيوانات، ونسجت على منوال قصصٍ خرافية بقصد التسلية والفكاهة، وكان يطلق عليها: "أكاذيب العرب" أو "رموز العرب". وقد نشأ هذا القسم من الأمثال غالبا في البادية لأن بيئة الصحراء والقفاري هي موطن يسهل نسج الخرافات فيها وحولها.

([1])- عبد القاهر جرجاني، مصدر سابق، ص54 .

([2])- موسى محمد حمود خصر، مرجع سابق، ص17 .

([3])- المرجع نفسه، ص17 .

ويُعدّ هذا اللون صورة من صور الأدب الرمزي[1] الذي ينسب في الأديب الأحداث والحوارات إلى الحيوان والجماد. ويمكن تقسيم هذا النوع إلى نصفين :

1– ما بناه العرب على حكايات خرافية كزعم العرب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فاصطلمت أذناه، فبنوا على هذه الخرافة قولهم: "كطَالِب القِرْن فَجَدَعَتْ أُذُنُه" [2] .

2– ما أجراه العرب على لسان الحيوان نفسه ومثاله "الحيَّة والفَأْس" حيث: "زعموا أن أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما، فأجدبت بلادها، وكان قريبا منهما واد فيه حية قد حمته من كل أحد، فقال أحدهما للآخر يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي فرعيتُ فيه إبلي، وأصلحتها؟ فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدا لم يهبط ذلك الوادي إلا أهلَكَتْهُ قال: فو الله لأهبطنّ، فهبط ذلك الوادي، فرعا إبله، ثم إن الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه: ما في الحية بعد أخي خيرٌ، و لأطلبن الحية فأقتلها أو لأتبعن أخي فهبط ذلك الوادي، فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أني قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم؟ قال: أفاعلة أنتِ؟ قالت: نعم. قال فإني أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله ونبتت إبله حتى كان من أحسن الناس حالا، ثم إنه ذكر أخاه، فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان؟ فعمد إلى فأس، فأحدها، ثم قعد لها، فمرّت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر، ووقع الفأس بالجبل فوق جحرها، فأثر فيه، فلمّا رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيهن فلمّا رأى ذلك وتخوف شرّها نَدِمَ. فقال لها: هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه؟ فقالت: كيف أعودك وهذا أثر فأسك، وأنت فاجر لا تبالي العهد".[3]

ويظهر من خلال التقسيم السابق أنّ المثل الموجز ينحو إلى التركيز على صواب المعنى، والغرض المسوق منه التشبيه، علماً بأن هذا الغرض المضروب عام في سائر الأمثال العربية، لأننا نعلم أن الغرض الرئيسي المسوق من الأمثال، هو التشبيه. وأما المثل القياسي فالمورد الأساسي منه القياس

([1])– الرمزية: مصطلح يطلق على مدرسة شعرية فرنسية، ازدهرت في الخمسة عشر سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر ،وهو في الأصل كاتجاه في الكتابة في استعمال الرموز ،إما بذكر الملموس وإعطائه معنى رمزيا أو التعبير عما هو مجرد من خلال تصورات حسية ومرئية .

([2])– موسى محمد حمود خصر، مرجع سابق، ص19 .

([3])– عبد المجيد العابدين، مرجع سابق، ص 99 - 100 .

والمقارنة بين الحادثتين، أو الأمرين المتشابهين. وأما المثل الخرافي فمبناه على القصة الخرافية، أو التي نُسجت من الخيال، وهو في ذلك أشبه بالحكايات التي لا أصل لها.

وأيّا كان الأمر فإن الباحث يرى أنّ المثل الموجز، والمثل القياسي، قد اعتمدا على البناء المشترك من حيث النظر إلى ورودهما، وإن كان الفرق يظهر في أن المثل الموجز هو المبني على الرواية دون أن تصاحبه قصة للمثل، أما المثل القياسي فقد صاحب المثل السرد القصصي، والسرد الوصفي له.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الأمثال هي كلمات وحكم تتداولها الشعوب بكلمات قليلة العدد لكنها ذات عمق في المعنى، فهي خلاصة التجربة البشرية على سطح هذا الكوكب في سيرها عبر طرق الحياة حيث يتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير ، فلا بد لكل مثل من مورد، و هو قد يختلف أو يتشابه بحسب الظروف من شعب لآخر، بحيث تنقسم هذه الأمثال بحسب الأزمنة التاريخية: أمثال قديمة، جديدة وأمثال حديثة، أما من حيث موضوعها فتنقسم إلى: أمثال قياسية، موجزة، وأمثال خرافية .

المبحث الثاني: بين المثل العربي والمثل الفرنسي:

أطلق العرب لفظ (مثل) على فنون من التعبير بعضها موجز وبعضها مطول، كما أطلقوه على الكلمة الموجزة التي اكتسبت صفة الشيوع والشهرة في الناس، وعلى الكلمة الجامعة المركزة على مهارة الصنعة والقدرة على الألغاز والتعمية[1]، ولقد أطلقوه على القطعة الأدبية التي قد تبلغ الفقرة أو الفقرتين من الكلام، والتي تقص نبوءة من النبوءات، أو تنزع منزع الأنشودة أو القصيدة الشعرية، أو مقارنة وقياسا لفكرة، أو توضيحا لعبارة، أو حكيا لقصة خرافية ذات مغزى.

وعندما قام الإفرنج بترجمة أسفار التوراة والإنجيل إلى اليونانية وسائر اللغات الأوروبية، أدركوا أن ذلك المفهوم الواسع الذي تشتمل عليه كلمة (masal) في العبرية، فاستخدموا ألفاظا عدة في لغاتهم للتعبير عنها، ومنها الكلمات اليونانية (Proverbium) و (Adagium) و (Sentetia) ، وفرقوا بين هذه المفاهيم الثلاثة من حيث المغزى والمفهوم.

فأما (adage) بالفرنسية، فهو تلك الكلمة التي تدل على مغزى خلقي تعبر عن الوظيفة العملية للمثل أي تجعل المثل واقعيا وتخرجه من طبيعته الساذجة، وأما (Sentence) بالفرنسية كذلك أي الكلمة الجامعة فهي فكرة قصيرة تحمل مفاهيم الحقيقة العامة أو الأفكار القيمية[2]، وأما المصطلح الأول (proverbe) فهو "لغة الكلمة التي تقال أمام الملأ"، واصطلاحا اللفظ الشائع للمثل، فعرفوه بقولهم "هو العبارة التي تتصف بالشيوع والإيجاز وحدة المعنى وصحته"[3].

ويمكننا أن نحدد الخصائص التركيبية للمثل الفرنسي فيما يلي:

- الإيجاز: فإن توسع تركيبه، لا يخرج عن أكثر من جزئين:

جملة رئيسية، وأخرى تابعة أو جملتان متجاورتين (juxtaposées) ولهذا كان متوارثا بالسماع فهو جامد على طريقة تركيبه حسب اللغة القديمة التي ضرب في عصرها.

- التجانس الصوتي أو السجع الداخلي.

([1])-عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص08.

([2])-Le dictionnaire des proverbes Français,M/ de la mesamges, imprimerie de Craplet 1823.

([3])-عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص09.

المطلب الأول : الإيجاز

إذا حاولنا المقارنة بين المثل العربي والمثل الفرنسي، لاحظنا أن الإيجاز من أهم الخصائص التي يرتكز عليها المثل الفرنسي جاء عن طريق تلك الترجمات الذي قام بها اليونانيون، وبذلك حدده أرسطو [1] ويبدو أن هذا التحديد قد شاع في الشرق مع ما شاع من أفكار الثقافة اليونانية، حتى كان له أثر كبير في تعديل مفهوم المثل في أذهان بعض المفكرين الشرقيين، فنجد أن من مفكري العرب مثلا ممن عرّفوا المثل تعريفا قريبا من تعريف اليونان القدامى، فأبو عبد القاسم بن سلام الجمحي (224 هـ) يرى اجتماع ثلاث صفات في المثل "إيجاز اللفظ والمعنى، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"، وابراهيم بن يسار النظام (221 هـ) وهو أمام المعتزلة وأحد الذين أخذوا من الأفكار اليونانية بنصيب، يصف المثل بقوله: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[2] ويفرق أبو نصر الفارابي بين النادرة والمثل بقوله: "النادرة حكمة صحيحة تؤدي ما يؤدي المثل إلا أنها لم تشه في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص، وليس بينها وبين المثل إلا الشروع وحده"[3] وهذا ما يطابق ما ذكره العالم بنسن (Benzen) و المثل (Proverbe) [4].

إن هذا التشابه، إن دلّ على شيء فإنما يدل على وجود صفة تجمع بين هذه الأمثال سواء كانت عربية أم غربية (فرنسية، لاتينية أو يونانية) أو غير ذلك، تلك الصفة التي سماها عابدين ألفة الشعبية، لأن المثل في أعمق معانيه هو صوت الشعب (Populair Viosc) النابع من الجماهير والمقبول لديهم، ولا يمكن أن نعدّه عبارة يخترعها أو كلاما ينشئه كاتب من جملة الأمثال، إلا إذا ظفر بالألفة الشعبية وصارت من كلام الشعب، وسار بين الناس وتداولوه بينهم، فلقد قام أحد الكتاب الفرنسيين (La Comte mailtrai) بوضع مجموعة من الأمثال اللاأخلاقية لا يجرؤ قارئ على مطالعتها، ولما كانت هذه المجموعة تحمل هذه الصفة أولا، ولم يرض عنها الشعب ثانيا، لم تذهب في الناس ولم يتناقلوها فيما بينهم [5].

([1])-ينظر: عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص09.

([2])-محمود اسماعيل صيني، مرجع سابق، ص3.

([3])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([4])- Le dictionnaire des proverbes Français,P02.

([5])-Le dictionnaire des proverbes+ Français,P12.

فالمثل الأصيل هو تلك العبارة التي يكون لها ماضٍ، تنبع من صميم البيئة ومن أعماق القومية، وتحيا باستحسان الشعب لها، فهو الذي يمنحها ذلك التأثير العميق، وإن كانت تتضمن معاني زائفة أو مبادئ غير صحيحة، وقد يكون المثل من أصل أجنبي، ولكن لا يلبث أن يتبناه الشعب، ويتخذه جزءا من تراثه فيصوغه في مواضيع وبأسلوب مألوف لديه، ويلبسه ثوبا يرضاه ويستحسنه لأن الصيغة عنصر أساسي في شعبية المثل وأصالته[1]، ولذلك فإن بعض الأمثال لا يُفهم معناها إلا إذا عرفنا مناسبته وقصته، فهو أشبه باللغز الذي يحتاج إلى حل، ولذلك حرص الرّواة على إيراد قصص لهذه الأمثال لشرحها وتفسيرها، فتتضمن هذه القصة في حد ذاتها مثلا واحدا أو أكثر من مثل، فإذا عرض المثل في سياق القصة، وقف الراوي عنده إليه بقوله "فذهب مثلا" أو "فأرسله مثلا" أو "فصار مثلا".

وقد تورد بعض هذه القصص وليس سياقها مثلا ما مثل "الحية والفأس" (أنظر المبحث الأول)، إلا أن جامعي الأمثال من المتأخرين أخذوا من هذه الخرافة عبارة "كَيْفَ أُعَوِدُكَ وهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ" فاتخذوه مثلا للقصة وجعلوه عنوانا، مع أن الضّبي لم يشر إلى شيء من ذلك وإنما وردت هذه العبارة في الرواية كسائر عبارات القصة، دون أن يشير إلى أنها مثل بمفردها، وهذا قد يفسر لنا بعض الحالات التي ينشأ فيها المثل الموجز من القصة حين تكون القصة هي الأصل والمثل هو الفرع[2]، لكن الوضع ليس كذلك دائما في نشأة الأمثال التي تتضمن قصصا، فلاشك أن طائفة كبيرة من هذه الأمثال كانت هي الأصل ثم لفقت لها قصصا بعد ذلك لشرحها وتفسيرها، وقد نلاحظ

اليوم في أمثالنا الدارجة، أنها تأتي موجزة نتمثل بها في مناسبات مختلفة فتنطق بها ونفهم مغزاها جملة، فإذا دققنا في تفاصيلها، عجزنا عن فهم بعض ألفاظها وتراكيبها وأصولها الأولى لأن الأمر كان نفسه مع الشعوب القديمة التي تداولت المثل بصورته الموجزة، فيفهمونه جملة لا تفصيلا. ويجري على ألسنتهم سهلة وسريعة دون معرفة قصصها

اليوم في أمثالنا الدارجة، أنها تأتي موجزة نتمثل بها في مناسبات مختلفة فتنطق بها ونفهم مغزاها جملة، فإذا دققنا في تفاصيلها، عجزنا عن فهم بعض ألفاظها وتراكيبها وأصولها الأولى لأن الأمر كان نفسه –مع الشعوب القديمة التي تداولت المثل بصورته الموجزة، فيفهمونه جملة لا تفصيلا. ويجري

(1)–ينظر: عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص86.

(2)–ينظر: المرجع نفسه، ص37.

على ألسنتهم سهلة وسريعة دون معرفة قصصها التي جاءت بها وعليها، لأن ذلك كان من صنع الروّاة الذين كانوا يتعقبون أصول هذه الأمثال فاجتهدوا في تفسيرها والبحث عن أصولها ومناسبتها، إلا أننا نجزم بصحتها كلّها. ومع ذلك لا سبيل إلى إنكارها لأنها تساعدنا على فهم مغزى المثل الذي يكون في كثير من الأحيان مختلفا باختلاف الأفهام والناطقين فيراد بها (قصة المثل) الوصف والتقرير أو التسلية والترفيه وسبب الاختلاف يدخل ضمن تلك العوامل التي تدخل في تطوير المثل من حيث المعنى أو المبنى أو كليهما فقد صيب المثل تغييرا بالتطويل أو بالتقصير.

المطلب الثاني: التجانس الصوتي

رغم أن الإيجاز يلعب دورا مهما في المثل وتركيبه، إلا أن التجانس الصوتي يلعب إلى جنبه دورا هاما، كذلك في تمييز المثل عن أي كتابات أخرى، فالتجانس يدخل بعض التنسيق داخل التركيب، يكون قريبا من السجع وذلك نحو (أُصُوصٌ عَلَيْهَا صُوص) والأصوص هو الناقة السمينة والصوص هو اللئيم ويضرب للأصل الكريم الذي يظهر فيه فرع لئيم... [1]وقالوا (إنّما خَدَشَ الخُدُوش أَنوُش) مثل يضرب فيما قدم عهده[2] وأنوش هو اسم عبراني (ابن شيت الوارد في سفر التكوين) والخدش هو الأثر والمعنى: أن ابن شيت أول من كتب وآثر بالخط المكتوب، وقالوا: (أنت تئق وأنا مئق فمتى نتفق) [3] والتئق هو السريع إلى الشر الممتلئ غضبا والمئق السريع إلى البكاء، والقليل الاحتمال، فكأن التئق والمئق مختلفان أخلاقا، ذلك ينزع إلى الشر لغيضه وهذا يضيق ذرعا باحتماله .

إن اشتداد التجانس الصوتي داخل الأمثال السابقة يبعث الدهشة لأول مرة، ولكن سرعان ما ندرك الصلة بين الجرس والمعنى فيزول العجب وتذهب الغربة ولعل هذا التجانس الصوتي نتيجة التوازن العددي للأشطار وهي في الحقيقة الأشكال المتميزة للشعر العبري الذي وضعه العالم الإنجليزي (لوث) سنة 1753م، وهو عبارة عن ارتباط الأسطر في مجموعات ثنائية أو أكثر، ولا يشترط أن تكون الأسطر المترابطة متكافئة فيما بينها، فقد تكون تابعة أو متبوعة وتتنوع العلاقة بين كل معنى

(1)-ينظر: الميداني، مصدر سابق، ج1، ص26.

(2)-ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص29.

(3)-ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص77.

سطر والذي يليه، فتكون إما متقاربة أو مختلفة مؤتلفة أو متناقلة[1]، ولعل الأمثال لها نصيب وافر من هذه الميزة.

إن التجانس الصوتي يقرب إلى حد ما (La rine lnterne) كما يعرفها الغربيون (الفرنسيون) أي تلك الطريقة التي استخدمها الشعراء الفرنسيين قبل 600 عام في أشعارهم حيث كانوا يجزئون الأبيات، الشعرية إلى أشطار، وكل شطر ينتهي إلى مثل (proverbe) أو جملة جامعة (Sentence) بشرط أن تدل على معنى هادف أو تعكس حقيقة ما، وأن يحتوي هذا البيت على سجع داخلي، فكانت هذه الطريقة هي التي تبنى عليها الأمثال الفرنسية في وقت صعب في الحصول على المعارف، فمعظم هذه الأناشيد كانت تقال عند أوقات الأكل أين تتواجد تلك الألفة الشعبية التي تكلمنا عنها سابقا، وإليك هذه الأنشودة التي تحتوي على 50 مقطعا والتي جمعت عددا كبيرا من الأمثال الفرنسية وضعها (L.aBouhaux de Montagrie) قبل 30 عاما بباريس، وسنأخذ منها مقطعين على سبيل التمثيل[2]:

C’est en forgeaut ،dit Saint simon

Que l’on devient bon forgeson

L’oisiveté ،dit Saint Suplice

Et l’argine de tout vice

Il vaut mieux ،n’ent doutez pas

Viser des souliers que des draps

On a sonvent ،dit Saint Eloi

Besoin d’un plus petit que soi

Comme nous dit Saint Monique

C’est le ton qui fait la musique

إذا أردنا أن نترجم هذه المقاطع إلى اللغة العربية فإنه سيصعب علينا إيراد تجانس صوتي بين الجمل المترجمة فالجملتان الأولى والثانية تتحول في العربية إلى:

(1)-عبد المجيد عابدين، مرجع سابق، ص150.

(2)- Le dictionnaire des proverbes+ Français,P14.

عند القيام بالحدادة يقول القديس سيمون

تصبح حدادا ماهرا

ونستخلص من هذا أن كل لغة تنغم بحسب مفرداتها، ففي المثال استخدم الشاعر أسماء القديسين لإنشاء سجع في الأنشودة وكل اسم يتماشى مع الجملة أو الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني الذي يليه، وبهذه الطريقة تمت العلاقة بين جميع أمثال الأنشودة .

ولقد خصص لهذا النوع من الأمثال الإيقاعية كتابا بأكمله وأهم من كتب على هذا النحو (M.la Duc) الذي ألف كتابين الأول يحتوي على 364 صفحة والثاني على 362 صفحة وكلاهما يحتوي على أمثال لا تحمل معنى معيناً أو مضبوطاً، وإليك منها المثال التالي[1]:

Si un lièvre Courrait le pain

Beaucoup de Gens Mourraient de fain

Passe pour le suivant

Femme qui Gaigne et poule qui pond

Font grand bruit dans la maison

إن هذا المثل لا يحمل أي معنى أو علاقة بين أشطاره ولو أنه جاء بلغة واحدة وهي الفرنسية لكن يمكن القول أن الأمثال جاءت متتابعة من حيث التركيبة والموسيقى التي تصنعها الألفاظ التي جاءت في آخر كل شطر.

من الملاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن المثل الفرنسي القديم كان أقرب إلى البساطة وأدلّ على الفطرة[2]، وقد استخدمه الحكماء في أمثالهم الكتابية كأداة من أدوات الصنعة ومظهر من مظاهر التأنق في التعبير ووسيلة فعّالة من وسائل التعليم، فهو يعين على فظ الكلمات في الذهن ولقد كان هذا المبدأ معروفا لدى العرب القدماء في شعرهم، خاصة في العصر الجاهلي، فالعربية انفردت بالشعر الموزون المقفى، ولكن يجب الإشارة إلى أن معظم النقوش الجاهلية العربية التي عثر عليها حديثا وهي قليلة على اختلاف اللهجات التي دونت بها، لا تجد شيئا منها في صورة شعرية

(1)- Le dictionnaire des proverbes+ Français,P12.

(2)- بإمكان القارئ أن ينظر في الأمثال الفرنسية التي قابلناها بنظائرها في اللغة العربية في آخر هذا المبحث ليلاحظ بسهولة الفرق الدلالي(قيمة المعنى) بين نحو هذا المثل القديم، وما تطور إليه .

موزونة، في حين نرى من النقوش من هذا أن الوزن شيء مستحدث عند العرب في عصور قريبة من الجاهلية، وأن الأمثال التي تتألف من أشطار موزونة على العروض العربي، وهي صنعة مستحدثة راج أكثرها في عصور إسلامية[1]، وهذا ما يجعلنا نفرق بين الوزن العروضي والأشطر العددية ليتضح الفرق الشكلي بين الشعر والمثل، فقلد تصاحب هذان النوعان منذ عصور قديمة مضت إلا أن الأمثال التي وصلت عبر النقوش كانت تتألف على الأقل شطرين متساويين، وما ميّز الشعر عنها ما أضيف لها من الإيقاع (Le rythme) أو من الإيقاع السجع، ومن أشهر الأمثال التي قبلت على طريقة التوازن العددي للأشطار حكم أكثر وقس وعامر بن الظرب، وحكم سيدنا علي كرّم الله وجهه والحسن البصري، والحكم التي جمعها الثعالبي في كتابه الموسوم بـ "كتاب الأمثال المسمى بالفوائد والقلائد" للأبي منصور الثعالبي (429 هـ) [2]وفيه نجد أمثلة لا حصر لها تتوازن فيها الأشطر عدديا ونذكر منها:

- إذا ضربت فأوجع، وإذا زجرت فأسمع.
- فضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة.
- من شدّد نفّر، ومن تآخى تألّف.
- أشراف القوم كالمخ من الدابة، فإنما تموء الدابة بمخها.

مما رُوي عن الرسول (ﷺ)﴿من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر كذبه، ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به﴾[3] وهذا تركيب رباعي، أما التركيب الثلاثي ففي قول مالك الشيباني (ربّ عجلة تهب ريثا، وربّ غيث لم يكن غيثا).

ولعل فيما ذكرنا لمحة مقارنة بين المثل العربي والمثل الفرنسي حيث الإيجاز والتجانس الصوتي، وما اختيارنا لهذين العنصرين إلا من باب التوضيح والتدقيق، وللتشابه الفعلي بين تركيبة المثل العربي و الفرنسي. رغم أن كليهما في تطور مستمر، و قد يطرأ بعض التغيير في تركيبهما وهو أمر طبيعي، لا سبيل لإنكاره، إلا أن هذا لا ينقص من قيمة المثل ولا أصالته في البيئة التي نبع منها، فإذا تصفحنا مدونات الأمثال عربية أم أجنبية، ولا سيما المتأخرة منها، وجدنا ما يدل على الانتقال، خاصة إذا تعلق الأمر بإدخال عبارات جديدة، لكن تبقى الرواية الأصلية هي المثل الرائع وتركيبه الخاص.

([1])-ينظر: عابدين عبد المجيد، مرجع سابق، ص153 .

([2])-ويسمى أيضا بالعقد النفيس ونزهة الجليس، طبع سنة 1327هـ .

([3])-ينظر: أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ج1، ص10 .

المطلب الثالث: المثل العربي و تركيبه الخاص

إن الحديث عن حقيقة تطور الأمثال يجرنا للحديث عن صيغة تولدت في الأمثال العربية وانفردت بها دون سواها من الأمثال العربية، وهي الأمثال التي جاءت على وزن أفعل وتعتبر من تلك الأمثال المصطنعة، التي أقحمها الروّاة على الأمثال الأصلية، فهي مستحدثة أضيفت إلى المثل القديم. وتستخدم هذه الأمثال في صورة المبالغة لأن من عادة العرب المبالغة في وصف الشيء[1]. فقالوا على سبيل المثال: أَبْعَد مِن النّجْمِ، وأَبْيَنُ مِن وَضْحِ الصُّبْح، وأَبْصَرُ مِن عِقَابٍ، وأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ... وتشمل هذه الأمثال قدوات (Examples) فتكون عادة من الناس أو الحيوان أو النبات أو الجماد[2]. فصارت نماذج أو رموزا في البعد والوضوح وقوة البصر والسخاء...

وأهم ما نلاحظه على هذا المثل أنه مما تنفرد به العربية، فالهمزة في أول الصيغة هي في الأصل مقطع ألصق بالصفة للمبالغة، ولقد حوت المدونات الخيرة أعداد هائلة خاصة في مدونات أصحاب الاتجاه الإسلامي المستحدث، فالأمثال القديمة لم يكن فيها إلا عدد قليل نذكر منه بضعة أمثال أوردها الضّبي في كتابه.

- أَسْرَعُ مِن نِكَاحٍ أَمْ خَارِجَة (يضرب في السرعة).
- أَشْأَمُ مِن دَاحِسٍ (في شدة الشؤم).
- أَعَزُّ مِن كُلَيْبٍ بَن وَائَل (يضرب في العزة).
- أَشْأَمُ مِن نَاقَةِ البَسُوسِ (في شدة الشؤم).
- أَمْنَعُ مِن عِقَابِ الجَر (من المقاومة).

ولقد شاع هذا المثل لما فيه من تعبير سهل وميسور وتسهيلا لطلاب العلوم واللغة، خاصة عند علماء اللغة والطبائع في العراق، فنجد من تحدث عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) و أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت 225 هـ) وابن الكلبي الكوفي (ت 206 هـ) وألّف الجاحظ كتابه الضخم عن الحيوان يقيد ويركز هذا النوع من الأمثال ولما كان التيار العربي كلما تقدم الزمن آخذا في الضعف والفتور، عمل هذا في تراجع الأمثال أو حبسها في الكتب والمصنفات، ومن ثم جاز لنا أن نقول إن كثيرا مما وردنا من الأمثال على وزن أفعل عبارات منتحلة على المثل العربي القديم انتحالا،

(1)-ينظر: عابدين عبد المجيد، مرجع سابق، ص88 .

(2)-ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

فكان قالبا سهلا وميسورا يصبون فيه كل ما يجود به خيالهم فكان أمرا صناعيا[1]. ويعود الفضل في جمع هذه الأمثال إلى المفضل الضّبي (ت 178 هـ) وهو ينتمي إلى قبيلة ضبّة، إحدى قبائل المنطقة الشرقية، فقد ألّف كتابا في أمثال العرب وأفلتَ هذا الكتاب من عبث الزمن، فوصل إلينا ولعله أقدم كتاب في أمثال العرب يتداوله الناس اليوم، والكتاب من رواية ربيب المفضل أي –ابن زوجته– محمد بن زياد العرّابي الكوفي (ت 231 هـ). وينتمي إليها أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم وكان من تلامذة ابن العرابي وألّف كتابا بعنوان "الفاخر في لحن العامة" ويشتمل على قدر كبير من الأمثال[2].

وإذا انتقلنا غلى الأمثال الفرنسية، فأول كتاب لقي تقديرا كبيرا هو (Les adages d'Érasme) وهو كنز من الأشياء الثمينة بشهادة شارل دومولان، وأول طبعة ظهرت كانت عام (1508م) ثم نشرت طبعة ثانية بـ 330 مثلا، أما الطبعة الثالثة في عام (1547م) فقد ضمت 4051 مثلا، ولم يكن أبراز (Érasme) أول من كتب عن الأمثال اللاتينية فلقد اهتم بجمعها (Polydore Vergile) وعُثِر على كتابه عام (1598م)، وكان يتصف بالإيجاز والقلة[3].

وللاستفادة أكثر من هذه الموازنة، ارتأينا تقديم بعض الأمثال العربية من مدونة البحث "مجمع الأمثال" لصاحبه الميداني في أجزائه الأربعة، وتقديم نظائرها في اللغة الفرنسية من مرجع " Le dictionnaire des proverbes Français"، وذلك من باب إثراء البحث وتنمية روح التأثير والتأثر بين الثقافتين ولبحث الدافعية لدى المتطلعين وجمهور قرّاء هذا البحث من أجل تنمية وإثراء وإضافة ما ينقصه، لأن هذه الخطوة لم تكن إلا من باب الاجتهاد والاعتماد على النفس لقلة المراجع بل لانعدامها في مجال البحث المقارن بين الأمثال خاصة (العربية والفرنسية).

ولقد خصصنا هذه الموازنة من حيث المعنى والدلالة والإيحاء، لا من حيث التركيب، إلا في بعض الأمثال التي تطّلب الوقوف عندها تركيبيا مثل التوازن العددي للأشطار بين المثل العربي والمثل الفرنسي.

([1])–ينظر: عابدين عبد المجيد، مرجع سابق، ص97.

([2])–ينظر: المرجع نفسه، ص35 .

([3])– Le dictionnaire des proverbes Français,P03

واختيار المعنى للموازنة يفتح المجال للقارئ لاستخدام أساليب ومناهج متعددة للدراسة خاصة المنهج اللساني النّصي الذي يعطي بُعدا دلاليا للنص، وهذا سيفتح بدوره محور دراسة لأي فضولي يريد إثراء هذا البحث أو تقديم دراسة أخرى جديدة.

ولم نركز على لغة المثل من حيث الشكل بل من حيث المضمون فانتقلنا بطريقة تقابلية بين المثل العربي والمثل الفرنسي، وراعينا في ذلك تعدد اللفظ للمعنى الواحد، فقد يورد مثل في إحدى اللغتين ويقابله مجموعة أمثال في اللغة المجاورة لأن المعنى واسع والدلالة أوسع.

المطلب الرابع: المثل العربي و مقابله في الفرنسية:

إليك الأمثال العربية (مأخوذة كلها من كتاب مجمع الأمثال للضّبي) [1] وما يقابلها في الأمثال الفرنسية:

المثل في العربية	قرينه في الفرنسية
1. أذكر غائبا يقترب.	1. Quand on parle du Loup on voit la queue.
2. بلغ السيل الزبى.	2. C'est la goutte qui fait Déborder le vars.
3. أطلب تظفر.	3. Cherchez et vous trouvez/ Frappez et l'on vous ouvrira/ Demandez et l'on vous donnera.
4. ما أمر العذراء في نوى القوم.	4. Demandez aux femmes des Inspiration, ne leur demandez pas De conseils.
5. من حفر مغواة وقع فيها.	5. Celui qui creuse une fosse tombe, et la pièrre revient sur Celui qui la roule. Souvent la perfidie Retourne sur son auteur.

([1])- أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط11، 1998.

6. Celui qui sème l'in-justice Moissonne le malheur.
6. من عاشر الناس بالمكر كافأوه بالغدر.

7. Tel père, tel fils.
7. ذاك الشبل من ذلك الأسد.

8. Qui vivra, verra, c'est en Vivant que l'on peut voir ce- Que l'avenir nous réserve.
8. إن تعش تر ما لم تره.

9. Les paroles s'envolent, les Ecrit restent. La parole s'enfuit Mais l'écriture demeure.
9. العلم صيد والكتابة قيد.

10. La nuit est une sourcière.
10. الليل أعور (يقال لأن في الليل لبس).

11. A chaque pied son soulier/ A chaque saint sa chandelle.
11. لكل مقام مقال.

12. Si vous lui dites blanc, il Répondra noir/ il n'entend pas De cette oreille-là.
12. لو قلت تمرة لقال جمرة.

13. Qui écoute aux portes entendra mal parler sur son compte.
13. من يسمع يخل.

14. Combattre le mal par le mal.
14. الحديد بالحديد يفلح.

15. Ce sont deux sots qui se flattent.
15. هما كفرسي رهان.

16. Dieux donne, dieux prend
16. رزق الله لا كدّك (يقال في أمر يأتي من الله).

17. Les apparences sont trompeuses. L'habille ne fait pas le moins.
17. هذا صديق عين (يقال لمن يرضيك ظاهره).

18. Fier comme un écossais. Fier Comme artaban (très orgueilleux).
18. أنا ابن جلا (يقال للمتعالي المغرور).

19. Le silence est une réponse.
19. ربّما كان السكوت جوابا.

20. Il faut se faire ou dire des
20. قل خيراً أو اصمت.

Paroles de bon ougure.

21. Le silence est et l'âme des Choses. Le silence est la plus haute Sagesse de l'homme. 21.خير الخلال حفظ اللسان.

22. L'ami est quelque fois Plus proche qu'un frère. 22. ربّ أخ لك لم تلده أمك.

23. Au besoin on connait l'ami. 23. عند النازلة تعرف أخاك.

24. Le mensonge n'a qu'une Jambe, la vérité en a deux/ le Mensonge donne des fleurs mais Pas des fruits. 24. الكذب داء والصدق شفاء.

25. Le milieu est le meilleur. 25. خير الأمور أواسطها.

26. Qui va l'entement va surement/ Qui bien attend ne sur attend. 26. من تأنّى أدرك ما تمنّى.

27. Celui qui se lève matin pour Chercher la sagesse la trouve assise A sa porte/ qui reste assis sèche, Qui va tèche. 27. كل من سار على الدرب وصل.

28. La fermelé est l'exercice du Courage de l'esprit. 28. الحازم من ملك جده وهزله.

29. S'en mord les doigts. 29. عضّ على شَبْدعِهِ.

30. Chacun sait ou le soulier le blesse. 30. المرء أعلم بشأنهِ.

31. La jeunesse est une ivresse Continuelle c'est la fièvre de la santé. C'est la folie de la raison. 31. الشباب مطية الجهل.

32. Jouis du jour présent. 32. اليوم خمر وغداً أمرا

33. On récolte ce que l'on sème. 33. يحاسب المرء حسب أعماله.

34. Fait ce que je dis, ne fait pas Ne que je fais.
34. فصل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة.

35. La faim fait sortir le loup du bois.
35. صامت عصافير بطنه.

36. A chacun sa chacune.
36. لكل ذي عمود نوى.

37. A chaque jour suffit sa peine.
37. لكلّ غدٍ طعام.

38. Celui qui vole un œuf vole un bœuf.
38. لو نهيت الأولى لانتهيت الثانية.

39. Il ne fait pas mettre le doigt entre L'arbre et l'écorce.
39. لا تدخل بين العصا ولحائها.

40. Pauvre comme jop.
40. أفقر من العريان.

41. Petit à petit l'oiseau fait son nid.
41. من الحبة تنشأ الشجرة.

42. Bon renard ne se prend pas deux Fois au même piège.
42. لا يلسع المؤمن من حجر مرتين.

43. La colère est une courte folie.
43. الغضب غول الحلم.

44. Nul n'est infaillible.
44. لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة.

45. Ne désire que ce qu'on a, c'est Avoir tout ce qu'on désire.
45. من قنع بما هو فيه قرت عينه. من قنع فنع.

46. Il ne faut pas se moquer des chiens Avant d'être sorti du village.
46. لا تسخرن من شيء فيحور بك.

47. D'enfuir un pied chaussé ; l'autre nu.
47. فرّ الدهر جزعاً.

48. Rendre le mal pour le bien.
48. جزاء سنمار.

49. Voisin c'est tout.
49. الجار ثمّ الدار.

50. Le malheur n'a pas d'ami.
50. الشّر كشكله.

51. Le remords précède la vertu comme L'aurore précède le jour/ le repentir est Un jugement que l'on donne contre Soi-même.
51. الندم توبَة.

52. L'incapacité sert d'excuse pour
52. العجز وطئ.

Eviter le travail.

53. Qui bien chasse bien trouve. 53. مَنْ طلب شيئاً وجده.

54. Qui mal veut mal lui vient. 54. من يزرع الشوك لا يحصد العنب.

وقد استخلصنا من مقارنتنا للمثل العربي بنظيره المثل الفرنسي ما يلي:

* أمثال عليها طابع الإغراب، لا تدّل ظواهر تركيباتها وألفاظها على معانيها كالمثل القائل:

-عضّ على شبدعه: فلفظة شبدعه تحمل معنى الغرابة ولكن السياق يدل على الذّم .

* أمثال مترادفة دلاليا، تختلف ألفاظها ومعناها واحد.

- ضيِّقُ الحوصلة.
- مَا هو إلا سحابة ناصعة.
- ربّ جزة على شاة سوء.

كلها تصب في معنى واحد وهو البخل. وحتى في الفرنسية نجد:

- Fier comme un écossais.
- Fier comme Artaban.
- L'orgueil précédé la ruine et la hauteur précédé la chute.

كل مثل من هذه المجموعة يضرب في معنى الغرور.

* أمثال يشيع فيها الطباق وحتى المقابلة:

- اليوم خمراً وغداً أمر.
- الكَذب داء والصّدق شفاء.

ويقابله في الفرنسية (l'opposition) مثل:

- Oiseaux donne , dieux prend.
- Si vous lui dites blanc, il répondra noir.
- Fait ce que je dis et ne fais pas ce que je fais.

* أمثال تعتمد التكرار من باب التلاعب بالألفاظ فالمثل القائل:

- فضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة.

* أمثال فيها ألفاظ قديمة لم تتطور كالمثل الفرنسي القائل:

– Qui bien attend ne surattent.

فلفظة (surattend) قديمة غير متداولة في وقتنا الحالي.

* أمثال متوازنة في أشطارها عدديا نجدها في كلتا اللغتين:

- العلم صيد والكتابة قيد . Tel père, tel fils

إلا أن العربية تربط جملها بحرف عطف أما الفرنسية فلا وجود للوصل فيها.

* أمثال في منتهى الإيجاز تكتفي بكلمتين:

- الحرب خدعة.
- أطلب تظفر.

وتنفرد العربية بهذه الخاصية.

* أمثال متجانسة صوتيا وهي خاصية مشتركة بين الأمثال العربية والفرنسية مثل:

- الحازم من ملك جده وهزله.
- لو قلت جمرة لقال جمرة.
- اليوم خمراً وغداً أمر.

أما في الفرنسية فنجد:

- Cherchez et vous trouvez.
- Qui vivra verra.
- Qui va lentement va surement.

وأخيراً فالأمثال في أيّ لغة من اللّغات هي خلاصة تجارب الشعوب، وصُبّت في قالب لفظيّ موجز، كما أنّ الأمثال مرآة لثقافة الأمّة واتّجاهاتها الفكرية، لذلك نجدها مشحونة بالأفكار والنظرة الصائبة بل والحكمة، فما يكاد يسمعها أهل اللغة أو يقرؤونها حتى تتداعى المعاني في أذهانهم، فتغني المتحدث والكاتب عن كثير من الكلمات.

خاتـمة

لقد تم هذا العمل المتواضع بعون الله وحفظه، وتبيّن لنا من خلاله أن كل ما يقال عن المثل شيء يسير، لا يضاهي أهمية وقيمة ومكانة هذه العبارات السائرة الموجزة المتداولة فصيحها وعاميتها بين الناس كبيرا وصغيرا، مثقفا وأميّا، فهذا الأخير وإن كان جاهلا بالكتابة والقراءة تجده يحفظ عشرات الأمثال التي يستعملها يوميا، ويعتز بتوظيفها في كلامه كونها ميراث عربي صادق.

لقد حظيت الأمثال باهتمام البلغاء والفصحاء والعلماء قديما وحديثا، وأنها ذات أهمية خاصة من وجوهٍ عدّةٍ: من حيث اللغة، فهي مصدر من مصادر اللغة، ومن حيث الأسلوب، فهي تمتاز بالإيجاز وهو أسلوب بلاغي، ومن حيث الصياغة والبراعة في التصوير، بل تمتاز أكثر من ذلك بأنها ذات إشعاعات، بمعنى أنها تعبر عن حالة خاصة أو موقف بعينهِ، ولكنها تنطلق معبرة عن حالات عامة بل عن حالات انسانية يتجاوز الكثير منها الزّمان والمكان والبيئة، ونكاد نقول اللغة أيضا.

حقا لقد كان من المشوق والممتع أن نبحث في أمثال العرب، فنعرف أخبارهم ونقف منها على ما يملأ النفس حيرة وإعجابا، ومن ثم نكشف ونتعرف على هذه المادة التاريخية الثرية التي تساعد على معرفة مدى قدرة لغة الضاد العظيمة، التي تبرزها الأمثال على التعبير في جميع الأحوال وفي كل مقام يجيب المقال الذي يقتضيه، وهذا ما يجعل من الأمثال مادة بلاغية وأدبية. وخاصة عند مقارنتنا لها بنظيرها في الأمثال الفرنسية فقد تبين لنا تميّز اللغة العربية، وانفرادها عن سواها من اللغات من جهة مع اشتراكها معها في جوانب أخرى، وهذا من خلال النتائج التالية:

- تمتاز الأمثال العربية كما في الأمثال الفرنسية بالإيجاز الذي جاء عن طريق تلك الترجمات الذي قام بها اليونانيون.
- انفراد اللغة العربية باستخدام الأساليب البيانية المتعددة كالاستعارة والتشبيه والكناية وغير ذلك الذي نجده قليل في الأمثال الفرنسية فالأمثال العربية نصوصا متماسكة في البنية التركيبية.

- وفرة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الفن عند العرب قديماً وحديثاً واهتموا بجمعها في كثير من الكتب على عكس الأمثال الفرنسية التي نجد فيها قلة في المصادر.
- عدم المقدرة على ترجمة أمثال العربية للفرنسية ولا الأمثال الفرنسية للعربية، لأن في الترجمة لا نستطيع المحافظة على التجانس الصوتي الذي تتميز به الأمثال.
- إنّ الأمة العربية أمة حكيمة، أنجبت من الحكماء، وأنشأت من الحكم والأمثال ما بزّت به سائر الأمم كثرة وجودة.
- في الأمثال العربية مجالات فسيحة للدراسات اللغوية والبلاغية، بما يتوافر لها من خصائص أسلوبية، لا توجد إلا فيها وفي الشعر القديم كالشذوذ عن القياس اللغوي، وتحمل الضرورات وتعدد الروايات والإيجاز الشديد والصور البيانية.
- انفراد العربية بالأمثال التي جاءت على وزن "أفعل".

ومن هنا كانت المعرفة بالأمثال ضرورة، ليس لأهل اللغة الناطقين بها فحسب، إن لم يكن لاستعمالها فمن أجل فهم اللغة وثقافتها في إطارها الطبيعي.

فِهرِس الأمثال (وفق حروف الهجاء)

حرف الهمزة

المثل	الصفحة	المثل	الصفحة
حرف الألف			
الاعتراف يهدم الاقتراف	18	أَشْأَمُ مِن نَاقَةِ البَسُوسِ	31
الإنسان يريد والله يفعل ما يريد	15	أصوص عليها صوص	27
أبصر من عقاب	31	أطلب تظفر	38-33
أبعد من النجم	31	أعز من كليب وائل	31
أبين من وضح الصبح	31	أعط القوس باريها	16
أحرص على الموت توهب لكل الحياة	18	أعط أخاك تمرة فإن أبى فجمرة	18-14
إذا تكلمت في نهار فانفض وإذا،	14	أفقر من العريان	36
تكلمت في ليل فاخفض .		أمنع من عقاب الجو	31
إذا حَانَ القَضَاء ضَاقَ الفَضَاء	18	أنا ابن جلا	34
اذكر غائبا يقترب	33	إن أخاك من آساك	17
أرق من الهواء	20	إن الإنسان يبني ويهدم بلسانه	15
أروغ من ثعلب	20	أنت تئق وأنا مئق فمتى نتفق	27
استر عورة أخيك لما يعلم فيك	15	أنت تريد و أنا أريد والله يفعل ما يريد	15
أسرع من نكاح أم خارجة	31	إن تعش تر ما لم تره	34
أَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ	31	انما خدش الخدوش أنوش	27
أشأم من داحس	31	إنما هو كبرق الخلب	17
حرف الباء			
بلغ السكين العظم	15	بلغ السيل الزبى	33
حرف الجيم			
جاء السيل بعود سبيّ	15	الجار ثمّ الدار	36
جاء القوم كالجراد المشتعل	17	جزاء سنمار	36

حرف الحاء			
الحازم من ملك جده وهزله	35-38	حكمك مسمط	13
الحديد بالحديد يفلح	34	الحية والفأس	22-26
الحربُ خِدْعةٌ	13-38		
حرف الخاء			
خير الأمور أواسطها	35	خير الخلال حفظ اللسان	35
حرف الدّال			
دافع الأيام بالقروض		الدُّنيَا سِجْنُ المؤمِن وجَنَّة الكَافِر	18
حرف الذّال			
ذاك الشبل من ذلك الأسد	34	ذهب أمس بما فيه	15
حرف الراء			
ربّ أخ لك لم تلده أمك	35	رزق الله لا كدّك	34
ربّما كان السكوت جوابا	34	رَقَصَ في زَوْرَقِهِ	19
حرف السين			
السِرُّ أمَانةٌ	13-20	سمن حتى صار كأنه الخرس	17
حرف الشين			
الشباب مطية الجهل	35	الشّر كشكله	36
الشَّرط أمْلَك، عليْك أَوْلَك	17	الشّماتة لُؤمٌ	13
حرف الصاد			
صاحت عصافير بطنه	36	الصيف ضيعت اللبن	12-16
حرف الضاد			
		ضِيق الحوْصَلة	19
حرف العين			
العجز وطئ	36	عند النازلة تعرف أخاك	35
عجعج لما عضه الظعان	14	علَيْه مَا عَلى أَبي لهَبٍ	19
عض على شبدعه	35	عليْه مَا عَلى أَصحَابِ السَّبْتِ	19

العلم صيد والكتابة قيد	34-38	عي الصمت خير من عي المنطق	18
حرف الغين			
الغضب غول الحلم	36		
حرف الفاء			
فرّ الدهر جزعا	36	فضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة.	36
حرف القاف			
قَدْ جَعَل إحْدَى أُذَنيْه بُستَاناً والأخْرَى ميْدانَا	19	قل خيراً أو اصمت	34
حرف الكاف			
كأن على رؤوسهم الطير	14	كل من سار على الدرب وصل	35
كان مثل الذبحة في النحر	17	كنْ يهُوديًّا تمَام وإلَّا فلَا تلْعَبْ بالتَوْراَةِ	19
الكذب داء والصدق شفاء	35-37	كَيْفَ أُعَوِدُكَ وهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ	26
كطَالِب القِرْن فَجَدَعَتْ أُذُنُه	22		

حرف اللاّم			
لا تدخل بين العصا ولحائها	36	لكل غد طعام	36
لا تسخرن من شيء فيحور بك	36	لكل مقام مقال	34
لا يلسع المؤمن من حجر مرتين	36	الليل أعور	13-34
لكل ذي عود نوى	36	لو قلت تمرة لقال جمرة	34-38
لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة	36	لو نهيت الأولى لانتهت الثانية	36
حرف الميم			
ما أمر العذراء في نوى القوم	33	من طلب شيئا وجده	37
ما بالبعر من قماص		من عاشر الناس بالمكر كافأوه بالغدر	34
ما صدقةٌ أفضل من قولٍ	14	من قنع بما هو فيه قرت عينه	36
المرء أعلم بشأنهِ	35	من قنع فنع	36

من تأنّى أدرك ما تمنّى	35	من يزرع الشوك لا يحصد العنب	37
من الحبة تنشأ الشجرة	36	من يسمع يخل	34
من حفر مغواة وقع فيها	33		
حرف النون			
الندم توبة	36	نعم مأوى المعزى ثرمداء	14
حرف الهاء			
هذا صديق عين	34	هما كفرسي رهان	34-17
هذا مثل شارد أوشَرود	16		
حرف الياء			
يحاسب المرء حسب أعماله.	35	اليوم خمر وغداً أمرا	38-37-35
يكوي البعير من يسير الداء	15		

فهرس المصادر والمراجع

أ/ العربية:

1– إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، القاهرة، د ط، 1980.

2– أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط11 ، 1975.

3– أحمد شعلان، موسوعة الأمثال المصرية والتغيرات السائرة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003.

4– إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين،ط4، 1990.

5– الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1998.

6– ابن عبد ربّه، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت،د ط، 1983.

7– رودولف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، تر: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، لبنان، ط1، 1391هـ/1971م.

8– الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، دار المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1962.

9– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: فؤاد علي منصور، ط1، 1998.

10– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط9، 1992.

11– طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996.

12– عاطف الزين سمع، الأمثال و المثل و التمثيل و المثلان في القرءان الكريم ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د ط، 1987.

13– أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، بيروت، د ط، 1971.

14– علاء اسماعيل حمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية، اتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق، د ط، د ت ط.

15– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1409هـ/1988م.

16– المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.

17– عبد المجيد العابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، ط1، 1956.

18– عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988.

19– محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، دار النفائس، لبنان، ط1،1988.

20– محمود اسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1992.

21– المفضل بن سلمة بن عاصم الضّبي، الفاخر في الأمثال، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2011.

22– موسى محمد حمود خصر، التجوال في كتب الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 2002.

23– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، د ت ط.

24– أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تح: أحمد عبد السلام و أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988.

ب/ الفرنسية:

25– Le dictionnaire des proverbes Français,M/ de la mesamges, imprimerie de Craplet 1823.

فهرس الموضوعات

مقدمة

تمهيد.....05

المبحث الأول: المثل العربي أقسامه وخصائصه

المطلب الأول: تعريف المثل(الطالبة:بن عراب).....09

لغة.....09

اصطلاحا.....11

المطلب الثاني: الخصائص العامة للمثل(الطالبة:بورايو).....12

الإيجاز.....13

إصابة المعنى.....14

جودة الكناية.....15

الذيوع والسيرورة.....16

الثبات.....17

حسن التشبيه.....18

المطلب الثالث: الأقسام التاريخية للمثل العربي(الطالبة:بن عراب).....19

الأمثال القديمة.....19

الأمثال الجديدة.....20

الأمثال الحديثة.....21

المطلب الرابع: أنواع الأمثال العربية(الطالبة:بورايو).....21

الأمثال الموجزة.....21

الأمثال القياسية.....22

الأمثال الخرافية.....22

المبحث الثاني: بين المثل العربي والمثل الفرنسي

المطلب الأول: الإيجاز(الطالبة:بن عراب).....26

المطلب الثاني: التجانس الصوتي(الطالبة:بن عراب).....28

المطلب الثالث: المثل العربي وتركيبه الخاص(الطالبة:بورايو).....32

المطلب الرابع: المثل العربي و مقابله في الفرنسية(الطالبة:بورايو).....34

خاتمة.....40

فهرس الأمثال(الطالبة:بورايو).....42

فهرس المصادر والمراجع.....46

فهرس الموضوعات.....48